أحاديث ابنة الخُسّ

أ.د. محيي الدين توفيق إبراهيم
قسم اللغة العربية/ كلية الآداب

المستخلص

تحدث كثير من علماء العربية القدماء والمحدثون عن الاستشهاد بكلام العرب، ولكنهم أكثر ما يتحدثون عن الاستشهاد به في النحو، وإن كان اهتمامهم في هذا ينصبّ على الشعر. والحقيقة أن علماء العربية الأوائل اعتمدوا المنثور من كلام العرب في هذا الصدد كاعتمادهم للشعر، وهذا كتاب سيبويه لا تكاد تخلو صفحة من صفحاته من الاستشهاد بكلام العرب المنثور، سواء أكان من سماعه أم رواية عن من سمعه من العلماء الذين سبقوه كالخليل، ويونس، وأبي الخطاب الأخفش، وعيسى بن عمر، وأبي عمرو بن العلاء، وعبد الله بن أبي اسحق، وغيرهم. ومن المعروف أن هؤلاء العلماء كانوا يخرجون إلى البوادي ليسمعوا كلام العرب ويدوّنوه، وقد فعلوا هذا منذ أن ظهرت الحاجة إلى تفسير القرآن وفهم معاني ألفاظه، وقد ظلوا يفعلون هذا طوال قرنين أو ما يقارب ذلك، ومنهم من قضى في البادية سنين طوال يشافه العرب ويكتب ما يسمعه منهم.

المقدمة:

ونحن نقرأ أخباراً عن هؤلاء العلماء الذين تركوا الحواضر وعاشوا في البدية زمناً طويلاً، كما فعل الكسائي حين نصحه الخليل أن يخرج فيأخذ اللغة من أفواه أصحابها ففعل ذلك وأمضى زمناً أنفد فيه خمس عشرة قنينة حبر[١]. وقد تلت ذلك أو واكبتها مرحلة أخرى أخذ فيها فصحاء العرب المشهود لهم بالفصاحة والصدق يفدون إلى البصرة أو الكوفة أو بغداد فيما بعد، فيأخذ منهم العلماء ويسألونهم عن هذه اللفظة أو تلك، أو هذا التعبير أو ذاك. وقد ظلت هذه الظاهرة العلمية – أعني الاعتماد على الفصحاء الذين يفدون إلى الحواضر– إلى زمن ابن جني (٣٩٢) الذي كان يفد إلى مجلسه فصحاء الأعراب كأبي عبد الله الشجري[٢].

وعلى هذا كانت اللغة تُجمع وتُدوَّن من طريقين، الأول: طريق العلماء الذين كانوا يخرجون إلى البوادي، فيجمعون من كلام العرب ما يسمعونه منهم ويدونونه في قراطيسهم.

---

(١) بغية الوعاة٢/١٦٣.

(٢) الخصائص١/٧٨.

والثاني: طريق الفصحاء الذين يفدون إلى حواضر العلم فيلتقيهم العلماء ويسمعون منهم. وقد ذكر ابن النديم أسماء كثيرين من هؤلاء الفصحاء الذين وفدوا إلى البصرة والكوفة وبغداد[١].

وهناك طريق آخر لا يقل أهمية، هو طريق الرواية عن من حفظ اللغة وأشعارها، وقد شهدت حركة تدوين اللغة نشاطاً كبيراً في هذا الصدد، فأخذ علماء اللغة يدونون شعر الشعراء في دواوين خاصة أو في كتب جامعة بعد أن كان محفوظاً في صدور الرواة. وقد حصل أكثر هذا في النصف الثاني من القرن الثاني، وفي القرن الثالث الهجريين، وإلى جانب هذا دوّنوا ما كانوا يحفظونه من كلام العرب من خطب وأمثال وأقوال، يرجع أكثرها إلى عصر ما قبل الإسلام وإلى العصر الإسلامي حتى انتهاء عهد الاستشهاد الذي حددوه بوفاة الشاعر ابراهيم بن هرمة في عام ١٥٠ للهجرة، وهذه الخطب والأقوال تكوّن مادة غزيرة في المعجم العربي.

ففي لسان العرب لابن منظور مثلاً نقرأ كثيراً، من ذلك ما رُوِي عن بلغاء العرب وفصحائهم الجاهليين والإسلاميين، فقد استشهد بكلام قُسّ بن ساعدة، وبما ورد في خطب الخلفاء الراشدين، والأمويين، والعباسيين، وما رُوي عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكثير من رجالات العرب ونسائهم الذين يُعتدّ بفصاحتهم، فضلاً عن الاستشهاد بما ورد في التنزيل العزيز، وفي أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم.

وممن رُوي عنهم من الفصحاء من العرب هند (ابنة أو بنت) الخُسّ وهي امرأة عاشت قبل الإسلام، وأبوها هو الخس بن حابس بن قريط الإيادي، ومنهم من يقول إنه الخُص بالصاد، وقيل إنه الخُسف، وقال يونس بن حبيب لا يقال إلاّ بنت الأخس.[٢] ولعلّه حين أصرّ على هذا الاسم استحضر بعض الكلام المنسوب إليها مما لا يليق بالنساء الحرائر، وسنعود إليه فيما بعد.

وهند هذه عُرفت بفصاحة لسانها وبلاغة أقوالها، وقد وصفها الجاحظ بأنها: "من أهل الدهاء والنكراء، ومن أهل اللَسَن واللَقَن، والجواب العجيب والكلام الفصيح، والأمثال السائرة، والمخارج العجيبة".[٣] وقد لُقِّبت بالزرقاء، قال أبو عمرو بن العلاء: "داهيتا نساء العرب هند الزرقاء، وعَنَز الزرقاء وهي زرقاء اليمامة"[٤]، ومن معاني الزَرَق البياض حيثما كان وصفاء العين، وحدّة البصر[٥]. وهذه الأوصاف كلها تصح على زرقاء اليمامة التي زعموا أنها ترى الأشياء على بُعد ثلاثة أيام، وأمّا

---

(٣) ينظر الفهرست ٧١ وما بعدها.
(١) البيان والتبيين ٣١٣/١.
(٢) المصدر السابق ٣١٢/١.
(٣) المصدر السابق ٣١٣.
(٤) لسان العرب مادة زرق ٥/١٢.

وصف هند بنت الخس بهذه الصفة وإطلاق هذا اللقب عليها، فلا يُفهَم إلاّ إذا كان هذا الوصف دالاً على الذكاء وبُعد النظر ورصانة العقل، وهي كذلك كما يُستَدل من أحاديثها مع أبيها وغيره.

وقد توزعت أحاديثها في كتب اللغة ومعجماتها حسب موضوعاتها أو أبواب الحروف التي وردت بها كلماتها، وما حوته من غريب اللغة، فقد ذكرها الجاحظ في البيان والتبيين حين تحدث عن أهل اللَسَن واللَقَن والجواب العجيب والكلام الفصيح، وذكرها في كتاب الحيوان أيضاً حين نقد قولها: "كنت والله في أيام شبابي أحسن من النار الموقدة"، قال: "وأنا أقول لم يكن بها حاجة إلى ذكر الموقدة، وكان قولها أحسن من النار يكفيها"[١]، ولكنه عاد فأحسن الظن بها واتهم الرواية. وذكرها ابن قتيبة في ثلاثة مواضع في كتابه (عيون الأخبار)[٢]، وذكر أنها كانت تأتي سوق عكاظ وأن أباها كان يسترشد برأيها، ولاسيّما حين كُفّ بصره. أما القالي فقد ذكرها في سبعة مواضع في أماليه وذيلها، أورد فيها أقوالها وأجوبتها على أسئلة أبيها وبعض العرب مما رواه عن ابن الأعرابي وغيره، وهي أقوال مصداق لما ذُكِر عنها من فصاحة اللسان وبلاغة القول وسرعة البديهة. ويذكر بعض الذين رووا أقوالها أنها سيدة قومها[٣]، وإذا كانت كذلك فلا بد أن تكون قد ورثت ذلك من أبيها، وقد طبقت شهرتها الآفاق، قالت ليلى بنت النضر الشاعرة:

وكنزُ بن جدعان دلالة أمُّه وكانت كبنت الخس أو هي أكبر

وقال الجاحظ عند حديثه عن أم هشام السلولية: "وكانت من حكيمات بنات العرب، حتى جاوزت في ذلك مقدار صُحْر بنت لقمان، وهند بنت الخس، وجمعة بنت حابس بن مُليل الإياديين"[٤].

وقد توزعت أحاديث هند بنت الخس في لسان العرب على ثلاثة وثلاثين موضعا:

١. فقد ورد قولها في مادة (خجأ)[٥]: "خير الفحول البازل الخُجأة"، وقد استشهد به اللحياني في نوادره[٦]. والبازل من الإبل ما طعن في التاسعة حين يبزل نابه، أي يطلع ويكون للذكر والأنثى. والعرب تسمي البعير إذا طعن في الخامسة (جَذَعاً)، وفي السادسة (ثنياً)، وفي السابعة (رَباعاً)

(١) كتاب الحيوان٥/٩٤.
(٢) ٢/٧٣، ٢١٤، ٤/١١.
(٣) اللسان مادة سود٤م٢١٠.
(٤) البيان والتبيين٣/٣٨.
(٥) ١/٥٧.
(٦) نوادر اللحياني جمع وتحقيق ودراسة عبد العزيز ياسين عبد الله رسالة دكتوراة بإشراف الدكتور/ محيي الدين توفيق ٣٠٢.

والأنثى (رباعية)، وفي الثامنة (سَدَساً وسديساً)، وفي التاسعة (بازلاً)، وليس بعد هذا اسم يخص السن، والخجأة الفحل الكثير الضِراب، وهو الذي لا يزال قاعياً على كل ناقة.

٢. وقد ورد قولها في مادتي (نبخ)[١]، و(غدا)[٢]: "غادية في إثر سارية في نبخاء قاوية"، حين سئلت: (ما أحسن شيء؟) والنبخاء الأكمة أو الأرض المرتفعة، أو هي الأرض الرخوة. وتريد ابنة الخس بهذا الكلام الغيمة الممطرة التي تأتي في الغداة في إثر التي تأتي ليلاً، فإذا أصابت هذه الأرض الرخوة اللينة أمرعت وظهر نباتها، ويقوّي هذا المعنى رواية اللحياني في ميثاء رابية، والميثاء الأرض اللينة من غير رمل[٣].

٣. وقد ورد هذا القول أيضاً في مادة (نفخ)[٤] مع بعض التغيير والزيادة، وهو قولها: "أثر غادية في إثر سارية في بلاد خاوية في نفخاء رابية"، والنفخاء أرض مرتفعة مكرّمة ليس فيها رمل ولا حجارة تنبت قليلاً من الشجر، وقيل هي أرض لينة فيها ارتفاع. ويقوّي الرواية الأولى أنها رواية ثعلب والقالي[٥]، ولكن ثعلباً ذكر الرواية الثانية التي بلفظة (نفخاء)، وقال: " ونبت الرابية أحسن من نبت الأودية، لأن السيل يصرع الشجر فيقذفه في الأودية ويلقي عليه الدِمْن"[٦]، وهو يروي قول ابنة الخس المذكور بعبارةٍ أخرى هي: "أحسن شيء سارية في إثر غادية، في روضة أُنُف قد أُكل منها وتُرك". وهذا الاختلاف في الرواية سببه أن هذه الأقوال نقلها الرواة راوية عن راوية، والمرأة جاهلية ولم تُدَوَّن أقوالها ولا أقوال غيرها إلاّ بعد زمن طويل قد يصل إلى القرنين أو الثلاثة، وحفظ المنثور من كلام العرب أصعب من المنظوم.

٤. ،٥. وفي مادتي (سود)[٧]، و(زنا)[٨]، ورد جوابها: "قُرب الوِساد وطول السِواد"، حين سئلت: (مأزناك؟ أو لِمَ حملت؟ أو لِمَ زنيت وأنت سيدة قومك؟) وبعض المصادر تنسب إليها الزنا بعبدها[٩]. وزاد الجاحظ في إنكارهم عليها أنها زنت بعبد ولم تزنِ بحر[١٠]. وفي النفس شيء من هذا

---

(١) ٢٦/٤.

(٢) ٣٥٣/١٩.

(٣) اللسان مادة ميث٣/١٤.

(٤) ٣١/٤.

(٥) مجالس ثعلب٢٨٤، والأمالي٢/٢٣٥.

(٦) مجالس ثعلب، الموضع السابق.

(٧) ٢١٠/٤.

(٨) ٧٩/١٩.

(١) مجالس ثعلب ٣٠٤.

هذا الخبر، فكيف ترضى بأن تكون هكذا وهي وأبوها سيدا قومهما؟ قد يُجاب بأنها امرأة جاهلية، والجواب على هذا أن مثل هذا الفعل يحط من شأنها، والعرب تأباه في الجاهلية والإسلام ولا سيّما بشأن المرأة. ولا أدلّ على ذلك من رفض الأعرابي أن يرضى بالزنا لأمه أو لأخته حين سأله الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك[٢]، ولا أظن هذا الخبر إلاّ من مفتريات رواة الأخبار. وعلى أيّة حال فالمقصود بالوساد الفِراش، وأمّا السِواد فهو المسارّة، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لابن مسعود: (أُذْنَك على أن ترفع الحجاب وتسمع سِوادي حتى أنهاك)[٣]، وهو مصدر مصدر ساوَد ومعناه إدناء سوادك من سواده، أي شخصك من شخصه. وفي تفسير قول ابنة الخس قال اللحياني: السِواد معناه المسارّة، وقيل المراودة، وقيل الجِماع بعينه[٤]، ولا يستقسم المعنى الأخير إذ كيف يكون الشيء سبب نفسه؟ وفسر اللحياني في موضع آخر قولهم (ما أزناك؟) بأن معناه ما حملك على الزنا؟ فأجابت بجوابها المذكور، وتفسير السواد بأنه المراودة أو الجماع ليس من كلام اللحياني على ما يبدو، لأنه لم يرد في كلامه حين أعاده صاحب اللسان نقلاً عن ابن سيده في مادة (زنا)[٥].

٦، ٧. وفي مادتي (زأر)[٦]، و(ضرغم)[٧]، ورد جوابها لمن سألها: (أي الفحال أحمد؟) قالت: "حُمُر ضرغامة، شديد الزئير، قليل الهدير"، وورد هذا النص في مادة (ضرغم) مع شيء من الاختلاف، فقد كان السؤال (أي الفحول؟) فأجابت " أحمر ضرغامة". والزئير في الأصل صوت الأسد في صدره، والفحل من الجِمال يزأر في هديره زأراً إذا أوعد، وقد استعير للرجل قال ابن الأعرابي: "الزئر من الرجال الغضبان المُقاطِع لصاحبه"[٨]. والهدير تردد صوت البعير في حنجرته وتصويت في غير شِقشِقة، يقال هدر البعير يهدِر هَدْراً وهديراً وهدوراً[٩]، والضرغامة

(٢) كتاب الحيوان ١٦٩/١.
(٣) الحديث في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لعلي بن أبي بكر الهيثمي.
(٤) ينظر اللسان مادة سود٤/٢١٠، والحديث في صحيح مسلم.
(٥) اللسان نفس الموضع، ونوادر اللحياني٤٤٤.
(٦) اللسان مادة زنا١٩/٧٩، ونوادر اللحياني نفس الموضع.
(٧) ٥/٤٠٢.
(٨) ١٥/
(٩) اللسان مادة زأر ٥/٤٠٢.
(١) اللسان مادة هدر ٦/١١٨،١١٩.

الفحل القوي[١]، فالضرغامة في الأصل للأسد ومن أسمائه الضَرغَم والضرغامة، وابنة الخس تشبه هذا الفحل بالأسد، وكذلك الزئير صوته. والبعير الأحمر الذي لونه مثل لون الزعفران إذا أُجسد الثوب به، وهو إذا لم يخالط حمرته شيء، وهو أصبر الإبل على الهواجر، والمراد بالهواجر شدّة الحر، والعرب تقول خير الإبل حُمْرَها وصُهْبَها، قال بعضهم هجِّر بحمراء واسْرِ بورقاء وصبِّح القوم على صهباء، قيل له ولِمَ ذلك؟ قال لأن الحمراء أصبر على الهواجر، والورقاء أصبر على طول السُرى، والصهباء أشهر وأحسن حين يُنظَر إليها[٢]. والأورق من الإبل ما في لونه بياض إلى سواد، وهو من أطيب الإبل لحماً لا سيراً وعملاً[٣]، والأصهب بعير ليس بشديد البياض[٤].

٨. وفي مادة (كشش)[٥] ورد قولها: "نعم برُحْب ذراع، وهو أبو الرِباع، تكاشّ من حسّه الأفاع"، جواباً لمن سألها: (أيُلقح الرَباع؟) والرَباع يكون في الإبل والخيل والبقر، والمراد هنا رباع الإبل وهو الذي طعن في السابعة[٦]، والرِباع بالكسر جمع رُبَع وهو ما وُلد في الربيع، وقيل ما ولد في أول النتاج، وأمّا الذي يولد في آخر النتاج فهو الهُبَع، تريد ابنة الخس بقولها (أبو الرِباع) أن إلقاحه سريع، وتكاشّ تفاعل من الكشيش وهو صوت الأفعى من جلدها[٧]، تريد أن الأفاعي تهرب من حسّه أو هديره.

وهذا السؤال وجوابه يدل على أن ابنة الخس كانت صاحبة إبل، فهي أدرى بطباعها وأعلم بنتاجها، وقد تحدثت عن البازل– كما مرّ– وعن الجذع، وعن الثني كما سيأتي.

٩. وفي مادة (فرفص)[٨]، ورد جوابها لأبيها حين قال لها: (إني أريد أن لا أرسل في إبلي إلاّ فحلاً واحداً)، فقالت: "لايجزئها إلاّ رَباع فرفاص، أو بازل خجأة". والإرسال الإطلاق، والإجزاء الكفاية، ومعنى لا يجزئها لا يكفيها. وقد مر أن الرَباع من الإبل ما طعن في السابعة، والفرفاص الفحل الشديد الأخذ، وفُرافِص وفُرافصة من أسماء الأسد، ومر أن البازل من الإبل

---

(٢) القاموس المحيط٤/١٤٢.
(٣) ينظر اللسان مادة حمر ٥/٢٨٧–٢٨٨.
(٤) القاموس المحيط٣/٢٨٩.
(٥) المصدر السابق١/٩٤.
(٦) ٨/٢٣٣.
(٧) اللسان مادة ربع٩/٤٩٥.
(٨) اللسان مادة كشش٨/٢٣٢.
(٩) ٨/٣٣٣.

ما طعن في التاسعة، ومرّ أيضاً أن الخجأة الفحل الكثير الضِراب وهو الذي لا يزال قاعياً على كل ناقة[١].

١٠. وفي مادة (مخض)[٢]، ورد قولها لأبيها: "مَخِضَت الفلانية" لناقة أبيها[٣]، فسألها وما علمك؟ فقالت: "الصلا راجّ، والطَرْف لاجّ، وتمشي وتفاجّ"[٤]، قال: أمخضتُِ[٥] يابنتي فاعقلي. والمخض هنا معناه قرب الولادة، يقال مخِضت الناقة وكذلك المرأة والشاة إذا دنا وِلادها، وإنها لتمخّض بولدها وهو أن يضرب الولد في بطنها حتى تُنتَج. وأمّا الإمخاض فمعناه أن يكون للرجل إبل أو شاء حان وقت ولادها.

والصلا: ما عن يمين الذَنَب وشماله، والمراد بقولها (راجّ) أنه مسترخي، وقولها (الطرف لاج) أي سريع، وقولها (تفاجّ) أي تباعد ما بين رجليها[٦]، وهذا كله من علائم قرب وضعها.

١١. وفي مادة (جذع)[٧]، ورد قولها: "لا ولا يَدَع" حين سئلت: (هل يُلقِح الجَذَع؟) وقد مر بنا أن الجذع البعير إذا طعن في الخامسة، ويقال لَقِحَت الناقة فهي لاقح، وألقحها الجمل إذا حملت وكانت في أول حملها، فإذا استبان حملها فهي خَلِفة.

١٢. وفي مادة (ضيع)[٨]، ورد قولها: "ناب جائع يلقي في معىً ضائع"، جواباً لمن سألها: (ما أَحَدُّ شيء؟) والمراد بالناب هنا حيوان ضارٍ من ذوي الناب، والمراد بالمعى الضائع الجائع، يقال فلان يأكل في معىً ضائع أي جائع[٩]. وهذا القول رواه القالي عن ابن الأعرابي: (ضرس جائع يقذف في معىً ضائع)[١٠]، والمعنى واحد إلاّ أن الضرس أعم إذ يشمل كل جائع ولا يختص بذوي الناب.

(١) اللسان مادة خجأ.

(٢) ٩/٩٥.

(٣) في المزهر ٢/٥٤٤ لناقة لأبيها.

(٤) في عيون الأخبار لبن قتيبة٤/١١ برواية عينها هاجّ، وملؤها راجّ، وتمشي وتفاجّ.

(٥) ضبطت في اللسان بسكون التاء، والصواب بضمها أو كسرها كما أثبتناه.

(٦) اللسان مادة مخض٩/٩٥.

(٧) ٩/٣٩٤، وينظر المزهر ٢/٥٤٥.

(٨) ١٠/١٠١.

(٩) اللسان الموضع نفسه.

(١) الأمالي١/١٩٩.

١٣. وفي مادة (خلل)[١]، ورد أنه اختصمت إليها متخاصمتان، فقالت إحداهما مرعى أبي الخُلّة، فقالت لها ابنة الخس: "سريعة الدِرّة والجِرّة"، تريد هذه الإبل التي ترعى الخُلّة، وخصصها ابن سيده بأنها شجرة شاكة. ولكن المراد بالخلة من المرعى ما كان نباته فيه حلاوة، والإبل ترعى الخُلة أو الحمض وهو ما كان فيه ملوحة[٢]، والدِرّة كثرة اللبن في ضرع الناقة وسيلانه، والجرّة ما تجتره من طعام تعيده إلى فمها لتمضغه، وكل ذي كرش مجتر[٣].

١٤.، ١٥. وفي مادتي (ربحل)[٤]، و(سبحل)[٥]، ورد قولها: "السِبَحل الرِبَحل الراحلة الفحل" حين سئلت: (أي الإبل خير؟) والرِبَحل والسِبَحل إذا وصف بهما الجمل فهو الفحل العظيم، وتوصف الناقة بأنها سبحلة إذا كانت عظيمة غزيرة، والمراد بقول ابنة الخس الجمل لأنها وصفته بأنه الفحل. والراحلة للذكر والأنثى من الإبل هو الذي يُرحَل أي يُعدّ للركوب، وراحلة هنا صيغة اسم فاعل بمعنى اسم المفعول. والراحلة أيضاً عند العرب النجيب من الإبل، ذلك لأنهم يتوخّون في ما يركبون النجابة فضلاً عن القوة والعِظَم، فهذا النوع من الإبل أقدر على تحمّل مشاق السفر والصبر عليها. فالراحلة "من الإبل البعير القوي على الأسفار والأحمال، وهي التي يختارها الرجل لمركبه ورحله على النجابة وتمام الخَلْق وحسن المنظر"[٦]. فقد جمعت ابنة الخس في هذا الوصف نوعين من الإبل هما: ما يتخذ للركوب والحمل في الأسفار، وما يتخذ للفِحلة، لذلك جمعت بين صفتي النجابة وعِظَم الخَلق في ما هو خير الإبل.

ويظهر للمتتبع لأخبار العرب مع إبلهم أن ما يتخذونه للركوب والحمل في الأسفار غير الذي يتخذونه للفِحلة، ولا شك أن الجمل القادر على أداء هاتين الوظيفتين هو خير الإبل.

١٦. وقد ورد في مادة (زحل)[٧]، قولها: "السِبَحل الزِحَلّ الراحلة الفحل"، حين سئلت: (أي الجِمال أفره في الوِرد؟) فالسؤال هنا عن خير الجِمال في حالة خاصة، وهي حالة الوِرد. وللعرب في إيراد إبلهم الماء نظام وعادات، فهم لا يدعوها تزدحم على المياه إذا كانت كثيرة، بل يرسلونها جماعات، وعندئذ يقال أرسل إبله رَسْلاً رَسْلاً. أمّا إذا كانت ليست بالكثيرة وتركها ترد جميعاً

---

(٢) ٢٢٦/١٣.
(٣) المصدر السابق٢٢٥.
(٤) ينظر اللسان مادة جرر٢٠٠/٥، ومادة درر ٣٦٤/٥.
(٥) ٢٨١/١٣.
(٦) ٣٤٤/١٣.
(٧) اللسان مادة رحل٢٩٤/١٣.
(١) ٣٢٢/١٣.

فيقال أرسلها العِراك، وهذا من أمثالهم. ومعنى (أفره) هنا أنشط، وهو من الفراهة والفروهة وليس من معنى الملاحة والحُسن، إذ يقال غلام فاره وجارية فارهة، وقد ورد أن السِبَحل هو العظيم من الإبل، وأمّا الزِحَلّ– بكسر الزاي وفتح الحاء وتشديد اللام– فهو الذي يزحل الإبل أي يزحمها في الوِرد حتى ينحّيها فيشرب[١]. وناقة زحول التي ضرب الذائد وجهها فولّته عجزها، ولم تزل تزحل حتى ترد الحوض[٢].

١٧. وقد ورد في مادة (قرل)[٣] من أسجاع ابنة الخس قولها: "كن حذراً كالقِرِلّى إن رأى خيراً تدلّى، وإن رأى شراً تولّى"، والقِرِلّى طائر مائي موصوف بحذره وسرعة غوصه إذا رأى سمكة في قعر البحر انقضّ عليها كالسهم، وإذا رأى طيراً جارحاً في السماء مرّ على الأرض هرباً منه، قالوا إنه ينظر بإحدى عينيه إلى أسفل بحثاً عن السمك، وبالأخرى إلى السماء خوفاً من الجوارح، ويرى الأزهري أن هذا الاسم ليس عربياً، ولا حجة له في ذلك فصيغة الكلمة وحروفها عربية، والعرب تعرف طيور الماء كما تعرف طيور الهواء والأرض وقد ضربوا بحذره الأمثال، فقالوا: (أحذر من قرلّى) أو (أحزم) أو (أخطف)[٤]. ودلّى الشيء أرسله في مهواة، وتدلّى الإنسان إذا فعل ذلك بنفسه، ولا يكون التدلّي إلاّ من أعلى إلى أسفل[٥]. والمراد بالتدلّي هنا الغوص، والتولّي الإدبار والإعراض.

١٨.، ١٩. وفي مادة (حزم)[٦]، ورد قولها لأبيها: "اشتره أحزم أرقب"، وهذه العبارة جزء من قولها لأبيها حين شاور أصحابه في شراء فحل، وتمام قولها في مادة (عكا)[٧]، وهو "اشتره سلجم اللحيين، أسجح الخدين، غائر العينين، أرقب أحزم، أعكى أكوم، إن عُصي غشم، وإن أُطيع اجرنثم". والأحزم العظيم الحيزوم أو العظيم موضع الحزام[٨]، والأرقب غليظ الرقبة[٩]، واللحي

---

(٢) ينظر تعليق مصحح اللسان١٣/٣٢٢.

(٣) اللسان الموضع السابق.

(٤) ١٤/٧١، وفيه ابنة الحسن، والصواب ابنة الخس كما في المستقصى.

(٥) ينظر المستقصى في الأمثال١/٦٢، ٦٥، ١٠١.

(٦) ينظر اللسان مادة دلا١٨/٢٩١.

(٧) ١٥/٢٢.

(٨) ١٩/٣١٥.

(١) اللسان مادة حزم.

(٢) المصدر الساسبق مادة رقب١/٤١٢.

منبت اللحيين من الإنسان وغيره، ولحى سلجم شديد وافر[١]، وأسحج الخدين أي ذو خدين مقشورين، يقال سحجت جلده فانسحج أي قشرته فانقشر[٢]. وأعكى من العكوة وهي أصل الذنب حيث عري من الشعر كم كغرز الذَنَب، وإذا تعطّف ذّنّبه عند العكوة وتعقّد قيل بعير أعكى، والأكوم العظيم السنام، والغشْم الظلم والغصب، وأصله من غشم الحاطب إذا احتطب ليلاً، وتجرثم اجتمع[٣]، وهذه كلها صفات الجمل الفحل. وفي المزهر[٤] اختلاف يسير في الرواية فقد رواه (ملجم اللحيين)، وهو البعير الذي في لحييه سمة، و(أسجع الخدين)، والإسجاع الاعتدال والحسن في الخلق، و(أعلى أكرم) بدلاً من (أعكى أكوم).

٢٠. وفي مادة (خشم)[٥]، ورد قولها: "خياشيم الحَزْن[٦] أو جِواء الصمّان"، جواباً لمن سألها: (أي البلاد أمرأ؟) والسؤال عن مواضع في الجزيرة أمرأ أي أحسن هواءً، يقال مرُأت الأرض مراءةً فهي مريئة حسُن هواؤها[٧]. فكان جواب ابنة الخس أنهما موضعان، الأول: خياشيم الحزن، والحَزْن في الأصل الأرض الغليظة، والمراد هنا أرض بعينها. قال أبو حنيفة صاحب كتاب النبات وهو الذي روى قول ابنة الخس: "الحَزْن حَزْن بني يربوع وهو قُفّ غليظ مسير ثلاث ليال في مثلها، وهي بعيدة من المياه، فليس ترعاها الشاء ولا الحُمُر فليس فيها دِمَن ولا أرواث"[٨]، والمراد بالخياشيم أنوف الجبال أو أطرافها. وأمّا الصمّان فهو أرض صلبة ذات حجارة إلى جنب رمل، أو هي أرض غليظة دون الجبل والمراد بها هنا أرض بعينها، قال الآزهري: "وقد شتوت الصمان شتْوتين وهي أرض فيها غِلَظ وارتفاع وفيها قيعان واسعة وخبارى تنبت السدر عَذِية ورياض معشبة، وإذا أخصبت الصمّان رتعت العرب جميعها، وكانت الصمّان في قديم الدهر لبني حنظلة، والحَزْن لبني يربوع، والدهناء لجماعتهم والصمّان متاخم الدهناء"[٩].

---

(٣) اللسان مادة سلجم.

(٤) اللسان مادة سحج.

(٥) ينظر اللسان المواد غشم١٥/٣٣٣، جرثم١٤/٣٦٢.

(٦) ٢/ ٥٤٤.

(٧) ١٥/٦٩.

(٨) ضبطت في اللسان بفتح الزاي، والصواب ما أثبتناه.

(٩) ينظر القاموس المحيط١/٢٨.

(١٠) اللسان مادة حزن١٦/٢٦٧.

(١) تهذيب اللغة، وينظر اللسان مادة صمم١٥/٢٣٩.

ونقل البكري عن أبي مجيب الربعي أن الصمّان جبل ينقاد ثلاث ليال وليس له ارتفاع، وأن الخارج من البصرةِ على طريق المنكدِر لمن أراد مكة يسير إلى كاظمة ثلاثاً، وثلاثاً إلى الدوّ، وثلاثاً إلى الصمّان، وثلاثاً إلى الدهناء[١]، ونقل عن أبي زياد الكلابي أن الدهناء صحراء بين اليمامة والبصرة وهي جبال، والجبل منها يكون ميلاً وأكثر من ذلك، وبين كل جبلين شُقّة وربما كانت فرسخاً عرضاً وهي أرض ليس بها من الرمل شيء[٢].

٢١. وفي مادة (رزم)[٣]، ورد قولها: "نعم وهو رازم" جواباً لمن سألها: (هل يُلقِح البازل؟) وقد مرّ أن البازل من أسنان الإبل إذا طعن في التاسعة وانشقّ نابه، والرازم من الإبل الثابت على الأرض لا يستطيع النهوض من الإعياء.

٢٢.، ٢٣. وفي مادتي (شبم)[٤]، و(هزم)[٥]، ورد أنها سئلت: (ما أطيب الأشياء؟) فأجابت: "لحم جزور سَنِمة في غداة شَبِمة، بشِفار خَذِمة، في قدور هَزِمة"، والجززور البعير، أو خاص بالناقة المجزورة، أو جمع جزرة وهي الشاة المعدّة للذبح[٦]. والمراد الناقة لقولها (سنِمة) وهي العظيمة السنام[٧]، والشبمة الباردة، والشفار جمع شفرة وهي السكين العريضة، والخذِمة السريعة القطع، والقدور الهزمة الشديدة الغليان يُسمَع لها صوت.

٢٤. وفي مادة (همم)[٨]، ورد قولها: "خير النوق الهموم الرموم التي كأن عينيها عينا محموم"، وكأنها سئلت عن خير النوق كما في أكثر أحاديثها، والهموم الناقة تهمّ الأرض بفيها وترتع أدنى شيء تجده، والرموم التي تأخذ العيدان بفمها[٩]، والمحموم الذي أصابته الحمى.

٢٥. وفي مادة (دحن)[١٠]، ورد قولها: "خير الإبل الدِحَنّة الطويل الذراع القصير الكراع وقلّما تجدنّه"، جواباً لمن سألها: (أي الإبل خير؟) والدحنّة بكسر الدال والحاء أو فتحها من الإبل جملاً كان أو ناقة هو العريض، أو هو الكثير اللحم الغليظ وكذلك الدِحْوَنّة. والكُراع من البقر

---

(٢) معجم ما استعجم٣/٨٤١-٨٤٢.

(٣) المصدر السابق٣/٩١٣.

(٤) ١٥/١٣٠، وفيه هل يُفلح ولا معنى لههنا والصواب ما أثبتناه كما في المزهر٢/٥٤٥.

(٥) ١٥/٢٠٩.

(٦) ١٦/٩٢.

(٧) اللسان مادة جزر٥/٢٠٤، والقاموس المحيط١/٣٨٩.

(٨) اللسان مادة سنم١٥/١٩٨.

(٩) ١٦/١٠٧.

(١٠) القاموس المحيط مادة رمم٤/١٢٢.

(١) ١٧/٥.

والغنم بمنزلة الوظيف من الفرس وهو مستدق الساق[١]، ويكون في الحيوان في اليدين والرجلين، أمّا في الإنسان فيكون في الرجلين[٢]، وتشير بقولها (قلّما تجدنّه) إلى ندرة هذا النوع من الإبل.

٢٦. وفي مادة (ودن)[٣]، أن قوماً جاءوا إلى بنت الخس بحجر وقالوا: (أَحْذي لنا من هذا نعلاً) فقالت: "دِنوه" أي رطبوه، وقولهم (أحذي) ضبطه في اللسان بهمزة القطع المفتوحة ومعناه اقطعي، وبعض اللغويي، يقولون إن هذا الفعل ثلاثي فهمزة الأمر فيه همزة وصل، إذ لا يقال أحذاه نعلاً بل حذاه نعلاً وأجازه بعضهم[٤]، ولا أدري كيف يُقطَع من الحجر نعل!

٢٧. وفي مادة (ثني)[٥]، ورد أنها سئلت: (هل يلقح الثني؟) فأجابت: "وإلقاحه أنِيّ". والثنِيّ من الإبل الذي يلقي ثنيّته وذلك في السادسة من عمره، ومعنى أنِيّ بطيء، يقال أنى أُنِيّاً فهو أنِيّ تأخر وأبطأ[٦].

٢٨. وفي مادة (حجا)[٧]، أن الحجوى أيضاً اسم المحاجاة واستُشهِد بقول ابنة الخس:

قالت قالـةً أختي وحجْواها لها عقلُ
ترى الفتيان كالنخل وما يدريك ما الدخلّ

والحجوى الأغلوطة يتعاطاها الناس من نحو قولهم: (أَخرِج ما في يدي ولك كذا).

٢٩. وفي مادة (دلا)[٨]، ورد أنها سئلت: (ما مائة من الحُمُر؟) فأجابت: "عازبة الليل وخزي المجلس، لا لبن فتُحلَب ولا صوف فتُجَزّ، إن رُبط عيرها دلّى، وإن أرسلته ولّى". والعازبة هو المبعِد، تريد أنها تُبعَد ولا يُرى منها إلاّ الخزي، والعَيْر ذكر الحمير إن رُبط كما قالت أظهر الخزي، وإن أُطلق هام على وجهه وابتعد، والعرب لا تعُدّ الحمير مالاً كالإبل والبقر والغنم، ولا يكثرون منها.

---

(٢) القاموس المحيط مادة كرع٣/٧٨.
(٣) ينظر اللسان مادة كرع١٠/١٨١.
(٤) ١٧/٣٣٦.
(٥) اللسان مادة حذا١٨/١٨٤.
(٦) ١٨/١٣٣.
(٧) اللسان مادة أنى١٨/٥١.
(٨) ١٨/١٨٠.
(٩) ١٨/٢٩١.

٣٠. وفي مادة (رها)[١]، ورد أنها سئلت عن: (أي البلاد أمرأ؟) فأجابت: "أرهاء أجأ أنّى شاءت"، وهذه زيادة في إجابتها التي ذكرنا في مادة (خشم) عندما قالت: "خياشيم الحزن أو جواء الصمّان"، والأرهاء الطرق الواسعة أو الجوانب. وقد أوردها البكري بالزاي (أزهاء)، والأزهاء جمع زهو وهي المناظر الحسنة، أو ما زها من الأرض أي ارتفع، والروايتان متقاربتان في المعنى، وأجأ أحد جبلي طيء، والآخر سلمى[٢].

٣١. وفي مادة (صرى)[٣]، ورد أنها سئلت: (أي الطعام أثقل؟) فأجابت: "بيض نعام وصرى عام بعد عام"، والصرى لبن الناقة يُترك في ضرعها لا يُحتَلَب فيصير ملحاً ذا رياح، وهو لبن عامٍ استقبلته بعد انقضاء عام نتجت فيه، قال الأزهري: "ورأيت العرب يحلبون الناقة من يوم تُنتَج سنة إذا لم يحملوا الفحل عليها كِشافاً ثم يغرّزونها بعد تمام السنة ليبقى طِرْقها، وإذا غرّزوها ولم يحتلبوها وكانت السنة مخصبة ترادّ اللبن في ضرعها فخثُر وخبُث طعمه فامّسح"[٤]. والمراد بالكِشاف هنا أن تحمل الناقة عاماً بعد عام.

٣٢. وفي مادة (طغى)[٥]، أنه قيل لابنة الخس: (ما مائة من الخيل؟) قالت: "طغْي عند من كانت ولا توجد"[٦]، ومعنى طغي إمّا أن يكون من الطغيان أي إنها تُطغي صاحبها، أو بمعنى الكثرة. ذلك لأن المائة من الخيل ثروة عظيمة، والخيل عند العرب مال عزيز، لذلك قالت ولا توجد، وفي رواية أخرى عنها قالت: (لا تُرى)[٧].

٣٣. وفي مادة (غنا)[٨]، أنها سئلت: (ما مائة من الضأن؟) فقالت: "غنى"، كما قيل لها: (وما مائة من الإبل؟) فقالت: "منى"، وقيل لها: (ما مائة من الخيل؟) قالت: "لا ترى". وجوابها هذا يدل على أن المال عند العرب غنم أو إبل، فإذا ملك مائة من الضأن فقد أصبح غنياً، أمّا المائة من الإبل فهي أمنية لأنها ثروة كبيرة يتمناها الرجل ولا يمتلكها إلاّ القليل.

---

(١) ٦٠/١٩.
(٢) اللسان مادة أجأ١/١٥، ومعجم ما استعجم١/١٠٩.
(٣) ١٩١/١٩.
(٤) التهذيب
(٥) ٢٣٢/١٩.
(٦) في المزهر ٥٤٥/٢ (طغى من كانت عنده ولا يوجد).
(٧) اللسان مادة غنا١٩/٣٧٤.
(٨) المصدر السابق، نفس الموضع.

وفي العربية أسماء تدل على جماعات الإبل كالذَوْد ما بين الثلاثة إلى العشرة، والصرمة ما بين العشرة إلى الأربعين، أمّا إذا بلغت المائة فهي هنيدة[١]، وهذا الاسم لا تدخل عليه (أل) التعريف ولاينوّن ولايجمع فكأنه أصبح علماً، وذكرنا آنفاً أن المائة من الخيل لا ترى أو لا توجد كما قالت ابنة الخس، وهي تريد أنها لا توجد عند رجل واحد، وفي رواية الجاحظ وابن قتيبة لهذا القول زيادة، فقد سئلت عن المائة من المعز أيضاً، فقالت: "قِنىً"[٢]، والقنى جمع قنية وهو ما اكتسب، يقال قنوت العنز اتخذتها للحلب[٣].وكأن ابننة الخس توازن بين هذه الأنواع من المال، فأدناها المعز يليها الضأن ثم الإبل وأعلاها الخيل.

وأحاديث ابنة الخس هذه قد نقلها ابن منظور من مصادره الخمسة، وهذه المصادر جمعتها من روايات أئمة اللغة وحفّاظها كالأصمعي، وابن الأعرابي، وابن السكيت، وابن قتيبة، وثعلب، والقالي. كما عُني بها علماء وأدباء كالجاحظ، والسيوطي وغيرهم.

ولها في كتبهم أقوال أخرى، من ذلك ما أورده الجاحظ عن عامر بن عبد الله الفزاري أنه قد جُمِع بينها وبين أختها جُمَعَة، فقيل لجمعة: "أي الرجال أحبّ إليك؟ فقالت: الشَنِق الكَتَد، الظاهر الجَلَد، الشديد الجذب بالمسد". وقيل لهند: "أي الرجال أحبّ إليك؟ قالت: القريب الأمد، الواسع البلد، الذي يوفَد إليه ولا يفِد"[٤].

والشنِق العالي الكتف، أو مابين الكتف والعنق، والظاهر الجلد، والشديد الجذب بالمسد كلها تدل على القوة.

ويلحظ أن صفات الرجل عند جُمَعة تتمثل في قوته البدنية، وأمّا الصفات التي تحبها هند فصفات تدل على النبل والشرف. فالأمد هو الغاية والمنتهى، ولعلها تريد بوصفه قريباً أنه غير بعيد المنال كرماً، والمراد بسعة البلد سعة الدار، وهذا أيضاً من صفات الرجل ذي النبل والشرف، ولذلك قالت الذي يوفَد إليه ولا يفِد.

ومن ذلك ما أورده الجاحظ أيضاً أنها سئلت عن حر الصيف وبرد الشتاء، فقالت: "من جعل بؤساً كأذى"[٥]. وهذا القول أورده الجاحظ في كتاب الحيوان برواية أخرى، إذ سئلت أيّما أشد الشتاء أم الصيف؟ فقالت: "ومن يجعل الأذى كالزمانة؟!"[١] والزمانة العاهة.

---

(١) فقه اللغة للثعالبي ٣٣١.

(٢) كتاب الحيوان ٤٥٩/٥، وعيون الأخبار ٣٣/٢.

(٣) اللسان مادة قنا ٦٣/٢٠.

(٤) البيان والتبيين ٣١٢/١.

(١) المصدر السابق ٣١٣.

ومن ذلك ما أورده ابن قتيبة عن ابن الأعرابي أنه قال: "قيل لابنة الخس: ألا تتزوجين؟ فقالت: بلى، لا أريده أخا فلان، ولا ابن فلان، ولا الظريف المتظرف، ولا السمين الألحم. ولكن أريده كسوباً إذا غدا، ضحوكاً إذا أتى"[٢].

وهذا القول إذا جمع مع قولها السابق يدل على رجاحة العقل وحسن الرأي، فهي لم تطلب مالاً ولا حسن منظر؛ بل منزلة رفيعة ومقدرة عالية وليناً في الطبع.

وقد أورد القالي أقوالاً أخرى، منها قولها لمن سألها عن ألذّ شيء: "قبلة فتى، وعيشك ما ذقتها"[٣]. واستشارها رجل في امرأة يتزوجها، فقالت: "انظر رمكاء جسيمة أو بيضاء وسيمة؛ في بيت جِدّ أو بيت حدّ، أو بيت عز"، والرمكاء السمراء، وحين قال لها الرجل: (ما تركت من النساء شيئاً؟) قالت: "بلى شر النساء تركت، السويداء الممراض، والحميراء المحياض، الكثيرة المظاظ"، والمظاظ المشارّة والمشاقّة[٤].

وقولها حين سئلت عن أسوأ النساء[٥]: "التي تقعد بالفناء وتملأ الإناء، وتمذق ما في السقاء". والمذق خلط اللبن بالماء، وسئلت عن أفضل النساء فقالت: "التي إذا مشت أغبرت، وإذا نطقت صرصرت، متورّكة جارية، في بطنها جارية، يتبعها جارية". وفسر أبو علي القالي قولها أغبرت أثارت الغبار في مشيتها، وصرصرت أحدّت صوتها[٦]. ومعنى متوركة جارية أي تحمل جارية على وركها، وأرادت أن هذه المرأة مئناث في بطنها أنثى، وفي حضنها أنثى، وتتبعها أنثى. وهذا مخالف لما هو معروف عن العرب أنهم يحبون المرأة المذكار، ويحزن أحدهم حزناً شديداً إذا بُشِّر بالأنثى، وسيأتي أن ابنة الخس لها قول في الضد من هذا.

وسئلت عن أفضل الغلمان فقالت: "الأسْوَق الأعنَق، الذي إن شبّ كأنه أحمق" والأسوق الطويل الساق، والأعنق الطويل العنق. وحين سئلت عن أفْسَل الغلمان، قالت: "الأويقص القصير العضد، العظيم الحاوية، الأغيبر الغشاء، الذي يطيع أمّه ويعصي عمّه"، والأويقص تصغير أوقص، وهو الذي يدنو رأسه من صدره، ومعنى الحاوية ما استدار من البطن[٧].

---

(٢) كتاب الحيوان٥/١٠٥.

(٣) عيون الأخبار ١١/٤.

(٤) الأمالي١/١٩٩.

(٥) الأمالي٢/٢٥٦، وينظر المزهر ٥٤٣/٢.

(٦) الأمالي٢/٢٥٧.

(٧) المصدر السابق، نفس الموضع.

(١) المصدر السابق، نفس الموضع، وينظر المزهر٥٤٣/٢.

وروى القالي حديثاً لها مع أبيها في أوله شيء من الغرابة، إذ سألها: (أي شيء في بطنك؟ أخبريني وإلاّ ضربت رأسك)، فقالت: "أرأيتك إن أخبرتك بما في بطني أيكف ذاك عني عذابك اليوم؟" قال: (نعم)، قالت: "أسفله طعام، وأعلاه غلام، فاسأل عمّا شئت". والغرابة في جوابها هذا أنها عرفت أن في بطنها غلاماً وليس أنثى، وقولها: "أرأيتك" هذا تركيب اصطلاحي معناه (أخبرني)، تلزم فيه التاء حالة الفتح سواء أكان المخاطب مذكراً أم مؤنثاً، مفرداً أم مثنى أم جمعاً، والتغيير يكون في الكاف[١].

وحديثها مع أبيها عبارة عن أسئلة، سألها أبوها فأجابته إجابات تدل على خبرتها في الحياة وعقلها الراجح. وبعض هذه الأقوال ذكرت منفصلة في كتب اللغة وقد أوردناها آنفاً، وبعضها لم يذكر، ونحن ذاكرون هذا الحديث كاملاً.

سألها أبوها: "(أي المال خير؟) قالت: (النخل الراسخات في الوحل المطعمات في المَحْل)، قال: (وأي شيء؟) قالت: (الضأن قرية لا وباء بها، ننتجها رُخالاً، وتحلبها عُلالاً، وتجُزّ لها جفالاً، ولا أرى مثلها مالاً)، قال: (فالإبل ما لك تؤخرينها؟) قالت: (هي أذكار الرجال[٢]، وأرقاء الدماء، ومهور النساء)، قال: (فأي الرجال خير؟) قالت:

خير الرجال المرهّقون كما   خير تِلاع الأرض أوطؤها

قال: (أيهم؟) قالت: (الذي يُسئل ولا يسأل، ويضيف ولا يضاف، ويُصلِح ولا يُصلَح)، قال: (فأي الرجال شر؟) قالت: (الثُّطَيط النُّطَيط، الذي معه سُويط، الذي يقول: أدركوني من عبد بني فلان فإني قاتله أو قاتلي)، قال: (فأي النساء خير؟) قالت: (التي في بطنها غلام، تحمل على وركها غلام، يمشي وراءها غلام)، قال: (فأي الجِمال خير؟) قالت: (السِبَحْل الرِبَحْل، الراحلة الفحل)، قال: (أرأيتك الجذع؟) قالت: (لا يضرب ولا يَدَع)، قال: (أرأيتك الثني؟) قالت: (يضرب وضِرابه وفيّ)، قال: (أرأيتك السدس؟) قالت: (ذاك العَرَس)"[٣].

الرُخال بضم الراء وكسرها جمع رِخْل أو رَخِل الأنثى من ولد الضأن، والعلالة أن تُحلب صباحاً ومساءً ووسط النهار[٤]، والمراد بقولها تُجَزّ جُفالاً أن صوفها حين يُجَزّ لا يسقط منه شيء

---

(٢) ينظر معاني القرآن للفراء١/٣٣٣، واللسان مادة رأى.

(٣) في المزهر ٢/٥٤٠ هي أركاب الرجال.

(١) ذيل الأمالي١٠٧،١٠٨، وينظر المزهر ٢/٥٤٠–٥٤١.

(٢) ينظر اللسان مادة علل ١٣/٤٩٧.

على الأرض حتى يُجَزّ كله[١]. وقد مرّ بنا أنّ الضأن عند العرب أحسن مالاً، وقد شبهتها بأنه قرية لا يدخلها الوباء لندرة أمراضها، وهو مال يستفاد من نمائه وتكاثره ومن صوفه فضلاً عن وفرة لبنه. وقالت العرب فيما تضعه على لسان الضائنة: (أولّد رُخالاً، وأُحلَب كُثَباً ثقالاً، وأُجَزّ جفالاً، ولم تر مثلي مالاً)[٢]، وقولها عن الإبل بأنها (أذكار الرجال)، الأذكار جمع ذكر تريد أن الرجال يتحدثون عنها ويذكرونها في مجالسهم، قال تعالى: (ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون)[٣]، والأرقاء جمع رقء وهو سكون الدم وارتفاعه، والمعنى أن الإبل تُدفَع في الديات فلا تُهرق الدماء، وفي الحديث الشريف: (لا تسبّوا الإبل فإن فيها رَقوء الدم ومهر الكريمة)[٤]، وقد بيّنّا أن الإبل أفضل المال عند العرب، يليها الضأن ثم المعز.

المرهقون بسكون الراء وتخفيف الهاء ضبطت في أمالي القالي بفتح الراء وتشديد الهاء ولا يستقيم الوزن به، وهما بمعنى واحد وهم الرجال الذين يغشاهم السوّال والضيفان[٥]. ويسئل مضارع أسأل، يقال أسأله سؤله إذا قضى حاجته، فخير الرجال عندها الذي يجيب الناس على سؤالهم فيقضي حوائجهم وهو لا يسأل أحداً، ويضيف ولا يضاف، ويصلح بين الناس. وهذه من خصائص الشرف وكرم المحتد عند العرب، والثطيط الذي لا لحية له، والنطيط الكثير الكلام يأتي بالخطأ والصواب عن غير معرفة، وهذه صفات شر الرجال عندها. وجوابها عن خير النساء يناقض ما روي عنها في خبر سابق وهو أنها مئناث، وقد مرّ بنا أقوالها في خير الجِمال وألقاحها حين أجابت عن الجذع والثني، وأجابت هنا عن السَدَس وهو الذي يطعن في الثامنة بأنه العَرَس، أي الدَهَش.

وروى القالي أيضاً أنه قيل لابنة الخس: "(أي الرجال أحبّ إليك؟) قالت: (السهل النجيب، السَمْح الحسيب، النَدْب الأريب، السيد المهيب)، قيل لها: (فهل بقي أحد من الرجال أفضل من هذا؟) قالت: (نعم، الأهيف الهفهاف، الأنِف العيّاف، المفيد المتلاف، الذي يخيف ولا يخاف)، قيل لها: (فأي الرجال أبغض إليك؟) قالت: (الأوره النئوم، الوَكْل السئوم، الضعيف الحيزوم، اللئيم الملوم)، قيل لها: (فهل بقي أحد شرّ من هذا؟) قالت: (نعم، الأحمق النزّاع، الضائع المضاع، الذي يهاب ولا يطاع)، قالوا: (فأي النساء أحبّ إليك؟) قالت: (البيضاء العطرة كأنها ليلة قمرة)، قيل: (فأي النساء أبغض إليك؟) قالت: (العنفص القصيرة، التي إن استنطقتها سكتت، وإن سكتّ عنها

---

(٣) اللسان مادة جفل١٢١/١٣.

(٤) اللسان مادة جفل١٢١/١٣.

(٥) سورة النحل، آية٦.

(٦) اللسان مادة رهق٤٢/١١، والحديث في

(٧) اللسان نفس الموضع، وفيه أن البيت منسوب لابن هرمة.

نطقت)"[١]. والرجل النَدْب الخفيف في الحاجة السريع الظريف[٢]، والأريب العاقل ذو الدهاء البصير بالأمور، والأهيف الهفهاف الرقيق الخصر الضامر البطن. تريد أنه ليس شَرِهاً أكولً، والأَنِف العيّاف الذي يأنف أن يُضام، والأوره النئوم يراد به الأحمق الكسول، والوَكَل العاجز، ووصفها المرأة الأبغض بالعنفص معناه البذيئة القليلة الحياء.

وزاد السيوطي قولاً نقله من أمالي ابن دريد أنها سئلت: "(ما ضبّك؟) قالت: (ضبي أعور عنين، ساحٍ حابل، لم ير أنثى ولم تره)"، المراد بالأعور أنه لا يبرح جحره، والساحي الذي يأكل السحاة، والحابل الذي يأكل الحَبْلة وهو ثمر الآلاء والسَرْح[٣].

ونقل من نوادر ابن الأعرابي أنها سئلت: (ما مائة من المعز؟) قالت: (مُوَيل يشفّ الفقر من ورائه، مال الضعيف وحرفة العاجز)، قيل: (فما مائة من الضأن؟) قالت: (قرية لا حِمى بها)، قيل: (فما مائة من الإبل؟) قالت: (بخٍ جمال ومال، ومنى الرجال)، قيل: (فما مائة من الخيل؟) قالت: (طغى من كانت عنده ولا يوجد)، قيل: (فما مائة من الحُمُر؟) قالت: (عازبة الليل، وخزي المجلس، لا لبن فيحتتلب، ولا صوف فيُجَزّ، إن ربطت عيرها دلّى، وإن أرسلته ولّى)[٤]. وهذا القول يوضّح ما ذكرناه عن المال عند العرب.

وفي ما نقله من نوادر ابن الأعرابي زيادة في إلقاح الإبل، فقد سئلت: "(فهل يُلقح السديس؟) قالت: (نعم وهو قبيس)"[٥]. وهذا الاختلاف ليس من اختلاف الرواة، ولكنه يدل على أنها كانت تُسأل دائماً عن الإبل وصفاتها.

وبقي أن نتناول مناظرتين، إحداهما مع من أراد أن يمتحن عقلها فأجابته على أسئلته التي تبدأ بـ(كاد)، وسألته هي أيضاً مسائل تبدأ بـ(عجبت). وقد أورد ابن قتيبة هذه المناظرة وقال إنها حدثت في سوق عكاظ، قال لها الرجل: " إني أريد أن أسألك، قالت: هات، قال: كاد؛ فقالت: المنتعل يكون راكباً. قال: كاد؛ قالت: الفقر يكون كفراً. قال: كاد؛ قالت: العروس تكون ملِكاً. قال: كاد؛ قالت: النعامة تكون طائراً. قال: كاد؛ قالت: السَرار يكون سَحَراً. ثم قالت للرجل: أسألك؟ قال: هاتِ، قالت: عجبت؛ قال: للسباخ لا ينبت كلؤها ولا يجف ثراها. قالت: عجبت؛ قال: للحجارة لا

---

(١) ذيل الأمالي١١٩، وينظر المزهر ٥٤١/٢-٥٤٢.

(٢) اللسان مادة ندب٢٥١/٢.

(٣) المزهر ٥٤٢/٢.

(٤) المصدر السابق، نفس الموضع.

(١) المصدر السابق، نفس الموضع. والقبيس الفحل السريع الإلقاح.

يكبر صغيرها ولا يهرم كبيرها. قالت: عجبت؛ قال: لشُفرك لا يُدرَك قعره ولا يُملأ حفره"[١]. والسَرار مستهلّ الشهر أو وسطه أو آخره[٢]، والمراد هنا مستهله وآخره حيث يستتر القمر، والسباخ جمع سَبْخة وهي أرض ذات نزٍّ وملح[٣]. ومرة أخرى نقرأ عبارة في آخر هذا النص لا تليق بالمقام، إلاّ أن تكون من مُلَح الرواة ومضحكات الإخباريين.

والمناظرة الثانية بينها وبين أختها جمعة[٤]، نقلها ابن طيفور من نوادر ابن الأعرابي[٥]. فقد روى أن هنداً وجمعة وافتا سوق عكاظ واجتمعتا عند القلمّس الكناني فقال لهما: "إني سائلكما لأعلم أيكما أبسط لساناً وأظهر بياناً وأحسن للصفة إتقاناً، قالتا: سلنا عما بدا لك فستجد عندنا عقولاً زكية، وألسنة قوية وصفة جليّة".

وكانت أسئلته عن الأمور التي يهتم بها البدوي في حياته وعلاقته ببيئته وقبيلته. فلا غرابة إذن أن يبدأهما بالسؤال عن الإبل والخيل والغنم، فهذه الحيوانات عمدة حياته الاقتصادية والمال الذي يدخره لمواجهة ظروف الطبيعة القاسية، حيث تواجهه سنون المَحْل فتهزل الإبل والماشية عموماً وتقلّ ألبانها، فينجم عن ذلك حرمان ومجاعة وسوء حال. سألهما أولاً عن الإبل، قال: "(أي الإبل أحبّ إليك يا جمعة؟) قالت: (أحب كل قراسية دوسر، ملاحك الخلق عشنزر، ململم مثل ململومة المرمر، ذي شقشقة مفرفر، مصعب ألون مدلي المشفر)، قال: (كييف تسمعين يا هند؟) قالت: (نعم الجمل هذا في الشقة البعيدة، والمسافة الشديدة، وفي السباسب الجديبة، وغيره أحبّ إليّ)، قال: (فقولي)، فقالت: (أحب كل ذي كاهل رفيع، ملزز الخلق جميع، محتمل ضليع، يقل الرغاء ويعتسف البيداء، وينهض بالأعباء)".

فهذا السؤال عن ذكور الإبل، وكان الجواب أن أفضلها ما اجتمعت فيه هذه الصفات، وهي صفات تدل على القوة والقدرة على تحمّل مشاق السفر وثقل الأحمال، ووظييفة الإبل هذه هي الأهم عندهم وإن كانوا يعتمدون على ألبانها ولحومها أيضاً. ويلحظ في جواب ابنة الخس أنها تهتم بالنجابة، ولذلك كان جوابها فيه إجمال لذلك وتفصيل لصفات الجمل النجيب، وقد اتضح هذا أيضاً في أجوبتها على من سألها عن الإبل في ما مرّ من أحاديثها.

(٢) عيون الأخبار ٢/٢١٤.

(٣) القاموس المحيط٢/٤٦.

(٤) المصدر السابق١/٢٦١.

(٥) وقيل خُمعة.

(٦) ينظر بلاغات النساء٥٨-٦٤.

ولكن العرب يهتمون بجانب آخر في ذكور الإبل وإناثها، قال: "(فأي ذكور الإبل أبغض إليك ياجمعة؟) قالت: (أبغض القصير القامة، الصغير الهامة، السريع السآمة، الأجبّ الظهر كالنعامة)، قال: (كيف تسمعين يا هند؟) قالت: (وصفت جملاً غير فحل، ولا نجيب ولا شهم، ولا صليب ولا رايع ولا عجيب، وغيره أبغض إليّ منه)، قال: (فقولي)، قالت: (أبغض الضعيف المضطرب، الذي كل حمل عليه تعب)". ثم سألهما عن أحبّ النوق إليهما، فأجابت جمعة: "(أحب كل ناقة علكوم، علنداة كتوم مثل الجمل الحجوم، العظيم العيهوم يخلط بين الشد والرسيم في تيه المهامه والديموم)، قال: (كيف تسمعين يا هند؟) قالت: (هذه صفة ناقة صاحبها خليق أن لا يهمه سفر، ولا يسبقه خبر، ولا يهوله خطر، ولا يفوته ظفر، وغيرها أحبّ إليّ منها)، قال: (فقولي)، قالت: (أحبها ضخمة مثل الجوسق، شدقها مثل شدق النقنق، مدمج خلفها موثق، كثيرة الهباب، ناجية الذهاب، وشيكة الإياب)". وهنا يلحظ أيضاً أن إجابتيهما فيها عناية بجمال الناقة وقوتها ومقدرتها على تحمّل مشاق السفر، وخفّة السير.

وبعد أن سألهما عن الإبل ذكورها وإناثها، سألهما عن ذكور الخيل وإناثها، قال: "(أي ذكور الخيل أحبّ إليك يا جمعة؟) قالت: (أحب المنسوب جدّه، الأسيل خدّه، السريع شدّه، الطويل مدّه، الشديد هدّه، الجميل قدّه)، قال: (كيف تسمعين يا هند؟) قالت: (هذا فرس خليق إن طُلِب لم يُلحَق، وإن جوري لم يُسبَق، وإن بوهي لم يُفق، وغيره أحبّ إليّ منه)، قال: (فقولي)، قالت: (أحب الوثيق الخلق، الكريم العرق، الكثير السبق، الشديد الذلق، يمر من البرق)".

وهنا نرى أن إجابتيهما قد جُمعت فيها صفات الخيل من حيث وظيفتها، فهم يتخذونها للقتال الذي يقوم على الكرّ والفرّ، وهذا يحتاج إلى خيول ذات قدرة فائقة على الجري، ومرونة في التحول. وهم أيضاً يبغون فيها النجابة ويحفظون أنسابها، ويحبذون عتقها في النسب. وهذه الصفات أيضاً مطلوبة في الإناث كما في الذكور، فقد سألهما القلمّس عن أحبّ إناث الخيل إليهما، فأجابت جمعة: "(أحب كل حيية الفؤاد، سبوح جواد، سلسة القياد، شديدة الاعتماد في الدفع والاشتداد، ذات هباب وثماد)، قال: (كيف تسمعين ياهند؟) قالت: (هذه فرس صاحبها خليق أن لا يفوته أمر، ولا يهوله ذعر إذا شاء كرّ وإذا هاب فرّ، وغيرها أحبّ إليّ منها)، قال: (فقولي)، قالت: (أحب الشديد أسرها، البعيد صبرها، القليل فترها، الجميل قدرها، السريع مرّها، المخوف كرّها)". وسألهما عن أبغض ذكور اخيل إليهما، فأجابت جمعة: "(أبغض كل بليد وارم الوريد، ذا وكال شديد، لا ينجيك هارباً ولا تظفر به طالباً، ولا يسرّك شاهداً ولا غائباً)، قال: (كيف تسمعين يا هند؟) قالت: (هذا فرس إمساكه بلاء، وعلاجه عناء، وركوبه شقاء، وغيره أبغض إليّ منه)، قال: (فقولي)، قالت: (أبغض السريع البهر،

البطيء الحصر، السكيت الطفر)". وهذه أيضاً صفات غير مستحبة في الخيول لأنها تجعلها تقصر في أداء وظيفتها، ومقدرتها على الجري في الكرّ والفرّ واللحاق بالأعداء.

ثم سألهما عن أدنى أنواع المال عند العرب كما بيّنّا سابقاً وهو المعز، قال: "(فأي المعزى أحبّ إليك يا جمعة؟) قالت: (أحب ذات الزنمتين، المنفوخة الجنبين، المذكرة القرنين، الدقيقة الطبيين، تروي الولدين، وتشبع أهل البيتين)، قال: (كيف تسمعين يا هند؟) قالت: (هذه عنز رجل خليق أن تمتليء أوطابه، ويدوم شرابه، ويخصب أصحابه، وغيرها أحبّ إليّ منها)، قال: (فقولي)، قالت: (أحب ذات الضرع العريض، ثقيل في الربيض، مترع يفيض، ليس بمنزوف ولا مغيض)". وفي إجابتيهما تأكيد على ما ذكرناه من أن المعز يستغنى به ويقتنى للحلب، ولذلك كان أفضلها أغزرها ألباناً.

ثم سألهما عن شيء آخر يرتبط بحياة العربي وثروته، وهو السحاب الممطر الذي تُمرِع به الأرض، ويخصب العام. قال: "(فأي السحاب أحسن في عينك يا جمعة؟) فأجابت: (أحب كل ركام ملتف أسحم، رجاف مسف يكاد يمسه من قام بالكفّ)، قال: (كيف تسمعين يا هند؟) قالت: (وصفت سحاباً مسترخي العزالي، كثير التهاطل، غزير السجال، وغيره أحبّ غليّ منه)، قال: (فقولي)، قالت: (أحب كل صبير دلاّح، مثعنجر نضّاح، متجاوب النواحي، كأن برقه ضوء مصباح)".

ويلحظ هنا أنه بدأ أسئلته بالسؤال عن الثروة والمال، فسأل عن الإبل ذكورها وإناثها، وعن الخيل والمعز، وهذه هي الحيوانات التي يهتم بها العربي في باديته؛ لأن فيها مأكله وملبسه وهي وسيلته في الترحال وانتجاع المراعي. وهي أيضاً تعينه في الدفاع عن أهله وعشيرته. وكما مرّ في كل أحاديثها وكما هو معروف لدى المختصين باللغة العربية وآدابها، أن لفظة المال إذا أطلقت فالمراد بها الإبل ذلك لأن فيها ثلاثة منافع، فهي تصلح للذبح وللأسفار ولحمل الأثقال، فضلاً عن ما فيها من راحة نفسية، إذ لهم فيها جمال حين يريحون وحين يسرحون.

وبعد هذا سألهما عن أحبّ النساء عندهما وأبغضهنّ، قال: (فأي النساء أحبّ إليك يا جمعة؟) قالت: (أحب الغريرة العذراء، الرعبوبة العيطاء، الممكورة اللفّاء، ذات الجمال والبهاء، والستر والحياء، البضّة الرَخصة كأنها فضّة بيضاء)، قال: (كيف تسمعين يا هند؟) قالت: (وصفت جارية هي حاجة الفتى ونهية الرضاء، وغيرها أحبّ إليّ منها)، قال: (فقولي)، قالت: (أحب كل مشبعة الخلخال، ذات شكل ودلال، وظرف وبهاء وجمال)".

ثم قال: "(فأي النساء أبغض إليك يا جمعة؟) قالت: (أبغض كل سلفع بذية، جاهلة غبية، حريصة دنيّة، غير كريمة ولا سرية، ولا ستيرة ولا حيية)، قال: (كيف تسمعين يا هند؟) قالت:

(وصفت امرأة صاحبها خليق أن لا تصلح له حال، ولا ينعم له بال، ولا يثمر له مال، وغيرها أبغض إليّ منها)، قال: (فقولي)، قالت: (أبغض المتجرفة الشوهاء، المنفوخة الكبداء، العنفص الوقصاء، الحمشة الزلاّء، التي إن ولدت لم تنجب، وإن زجرت لم تعتب، وإن تركت طفقت تصخب)".

ثم سألهما عن أحبّ الرجال وأبغضهم، قال: "(فأي الرجال أحبّ إليك ياجمعة؟) قالت: (أحب الحر النجيب، السهل القريب، السمح الحسيب، الفطن الأريب، المصقع الخطيب، الشجاع المهيب)، قال: (كيف تسمعين يا هند؟) قالت: (وصفت رجلاً سيداً جواداً، ينهض إلى الخير صاعداً، ويسرّك غائباً وشاهداً، وغيره أحبّ إليّ منه)، قال: (فقولي)، قالت: (أحب الرحب الذراع، الطويل الباع، السخي النفاع، المنيع الدفاع، والدهمثي المطاع، البطل الشجاع الذي يحل باليفاع، ويهين في الحمد المتاع)".

ثم قال: "(فأي الرجال أبغض إليك يا جمعة؟) قالت: (أبغض السأآلة اللئيم، البغيض الزنيم، الأشوه الدميم، الظاهر العصوم، الضعيف الحيزوم)، قال: (كييف تسمعين يا هند؟) قالت: (ذكرت رجلاً خطره صغير، وخطبه يسير، وعيبه كثير، وأنت ببغضه جدير، وغيره أبغض إليّ منه)، قال: (فقولي)، قالت: (أبغض الضعيف النخاع، القصير الباع، الأحمق المضياع، الذي لا يكرم ولا يطاع)".

وبعد هذه الأسئلة عن أهم ما في حياة العربي، سألهما عن شيء كان يُعَدّ في ذلك الزمن من متممات الفصاحة، وقوام البلاغة. سألهما إن كانتا تقولان الشعر، فأنشدت جمعة قصيدة في أحد عشر بيتاً؛ ذكرت فيها خلال المرء المستحبة في الرجال والنساء، وذكرت أيضاً الخلال المخلّة بالمروءة، قالت:

أشدّ وجوه القول عند ذوي الحجى … مقالة ذي لب يقول فيوجز
وأفضل غنم يستفاد ويبغى … ذخيرة عقل يحتويها ويحرز
وخير خلال المرء صدق لسانه … وللصدق فضل يستبين ويبرز
وإنجازك الموعود من سبب الغنى … فكن موفياً بالوعد تعطى وتنجز
ولا خير في حر يريك بشاشة … ويطعن من خلف عليك ويلمز
إذا المرء لم يسطع سياسة نفسه … فإن به عن غيرها هو أعجز
وكم من وقور يقمع الجهل حلمه … وآخر من طيش إلى الجهل يجمز
وكم من أصيل الرأي طلق لسانه … بصير بحسن القول حين يميز
وآخر مأفون يلوك لسانه … ويعجن بالكوعين نوكاً ويخبز

وكم من أخي شر قد أوثق نفسه ... وآخر ذخر الخير يحوي ويكنز
يفر الفتى والموت يطلب نفسه ... سيدركه لا شك يوماً فيجهز

ثم أنشدت هند:

وجدت وخير القول في الحكم نافع ... ذوي الطول مما قد يعم ويلبس
وليس الفتى عندي بشيء أعده ... إذا كان ذا مال من العقل مفلس
وذو الجبن مما يسعر الحرب نفخه ... يهيج منها نارها ثم يخنس
وكم من كثير المال يفيض كفّه ... وكم من قليل المال يعطي ويسلس
وكم من صغير تذدريه لعله ... يهيج كبيراً شرّه متبجّس
وكم من مراء ذي صلاح وعفّة ... يخاتل بالتقوى هوى الذئب الأملس
وآخر ذي طمرين صاحب نيّة ... يجود بأعمال التقى ثم ينفس
وكم من سفيه للجماعة مفسد ... يدبّ لشرٍّ بينهم ويوسوس
وذو الظلم مذموم النثا ظاهر الخنا ... غني عن الحسنى وبالشر يعرس

وهند كأختها تناولت في قصيدتها كرم الأخلاق في الرجال وموجبات الرفعة والشرف. وبعد ذلك استزادهما من السعر، فأنشدت جمعة:

رأيت بني الدنيا كأحلام نائم ... وكالفيء يدنو ظله ثم يقلص
وكل مقيم في الحياة وعيشها ... بلا شك يوماً أنه سوف يشخص
يفر الفتى من خشية الموت والردى ... وللموت حتف كل حيّ سيغفص
أتاه حمام الموت يسعى بحتفه ... وقد كان مغروراً بدنيا تربّص
كأنك في دار الحياة مخلد ... وقد بان منها من مضى وتقنصوا
لقد أفسد الدنيا وعيش نعيمها ... فجائع تترى تعتري وتنغص
ألا رُبّ مرزوق بغير تكلّف ... وآخر محروم يجد ويحرص

ثم أنشدت هند:

لقد أيقنت نفس الفتى غير باطل ... وإن عاش حيناً أنه سوف يهلك
ويشرب بالكأس الذعاف شرابها ... ويركب حدّ الموت كرهاً ويسلك
وكم من أخي دنيا يثمر ماله ... سيورث ذاك المال رغماً ويترك
عليك بأفعال الكرام ولينهم ... ولا تك مشاكساً تلج وتمحك

ولا تك مزّاحاً لدى القوم لعبـة   تظل أخا هزء بنفسك يضحك
تخوض بجهل سادراً في فكاهة   وتدخل في عز الغواة وتشرك
ألا رُبّ ذي حظ يبصر فعلـه   وآخر مصروف في الحظ يؤفك

وبعد، فهذه أحاديث هند بنت الخس جمعناها من كتب اللغة ومعجماتها، تتضح فيها حياة العربي في الجاهلية، الاجتماعية والاقتصادية وعلاقته ببيئته. وقد اهتم الرواة بهذه الأحاديث اهتمامهم بما رووه من أحاديث أخرى لفصحاء العرب من الرجال والنساء، وقد عاشت بنت الخس في الجاهلية وقيل إنها من العماليق من بقايا قوم عاد، وهذا يعني أنها قد عاشت في زمن قديم يفوق في قِدَمه قِدَم زمن الشعراء الجاهليين الذين وصل إلينا شعرهم، وإذا صحّ هذا الخبر فإن بين أيدينا نماذج من اللغة القديمة، نستطيع من خلالها أن نتبيّن خصائصها وألفاظها المتداولة. فهذه المرأة أمّيّة تتكلم على سجيتها وتتحدث بلغة قومها وبيتها، وقد يكون ما وصل إلينا من هذه الأحاديث قد شذّبها الرواة، قد يكون هذا صحيحاً إلاّ أن ما فيها من ألفاظ وعبارات وأساليب لايتطرّق إليها الشك، وإلاّ فرواية اللغة تسقط كلها، وهذا أمر مرفوض ومردود.

وقد ورد في ما ذكرناه من أخبارها أنها حضرت مع أختها مجلس القلمّس الكناني في سوق عكاظ، وبنو كنانة بطون وفيهم نسأة الشهور، قال ابن حزم كل من بلغ هذه المرتبة منهم يسمى القلمّس[١]. وفي لسان العرب أن القلمّس السيد العظيم والداهية من الرجال، والقلمّس الكناني أحد نسأة الشهور[٢]. ولعل المقصود بالقلمّس هو: حذيفة بن عبد بن فقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة، أول من نسأ الشهور، أو هو سرير بن ثعلبة. وقد قام الإسلام في بني كنانة على جنادة بن أميّة بن عوف بن جذيمة بن عبد نعيم بن عبد بن عدي بن عامر بن ثعلبة[٣].

وهذا يعني أن القلمّس الكناني الذي وفدت إليه هند وأختها في عكاظ يرجع زمنه إلى ما يقرب من مائة وخمسين عاماً قبل الإسلام، وهو الزمن الذي يقدره العلماء لأقدم ما وصل إلينا من اللغة الفصحى في الجاهلية، أي إلى القرن الخامس بعد الميلاد[٤]، غير أن الخبر الذي رُوي أنها من من العماليق من بقايا قوم عاد يُرجِع زمنها إلى أبعد من ذلك بكثير. وعلى أيّة حال فنحن بإزاء نصوص من اللغة والأدب قديمة جداً ذات أهمية قصوى، ولذلك عني بها رواة اللغة وعلماؤها

(١) جمهرة أنساب العرب١٨٩.
(٢) لسان العرب مادة قلمس٦٥/٨.
(٣) جمهرة أنساب العرب١٨٩.
(٤) فقه اللغة، علي عبد الواحد وافي ١٠٤.

وأودعوها في تصانيفهم. ونستطيع أن نستخلص من هذه النصوص خصائص الحياة الاجتماعية والاقتصادية لدى عرب الجاهلية.

وأول ما نتبينه في هذه النصوص تلك القيم الاجتماعية من علاقة الفرد بقبيلته وأسرته إلى قيم الشرف والمنزلة الرفيعة، فلما سئلت هي وأختها عن أحبّ الرجال إليهما، كان الجواب أن يتصف بصفات الرجولة والشهامة والشرف والفروسية أيضاً، وتلك الصفات كالشجاعة والإقدام والذبّ عن حمى القبيلة في الحرب، وقِرى الضيف، وتحمّل الديات والسعي بالمعروف في حالة السلم هي التي تجعل من الرجل ذا مرتبة اجتماعية رفيعة، وبعكسها الصفات البغيضة، كأن يكون الرجل سأآلاً لئيماً، ومضياعاً أحمق ضيّق الصدر، الذي لا يكرم ولا يطاع.

وأمّا الصفات المستحبة في النساء في ذلك المجتمع فهي صفات الجمال، كأن تكون مملوءة رعبوبة ذات حياء، بضّة رَخصة، ذات شكل ودلال، وظرف وبهاء، فضلاً عن كونها ولاّدة مذكاراً. ويستقبح في النساء الصفات المضادة كالجهل والغباء والصلف، والحرص والدناءة وعدم الستر والحياء. فضلاً عن فقدان صفات الجمال فيها من وقص وتشوّه وعدم الإنجاب وغير ذلك من الصفات الذميمة.

ثبت المصادر

١. **الأمالي:** القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم، ت (٣٥٦)، المكتب التجاري، بيروت.
٢. **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة:** السيوطي جلال الدين ت(٩١١)، مطبعة السعادة، مصر ١٣٢٦.
٣. **بلاغات النساء:** ابن أبي طاهر طيفور.
٤. **البيان والتبيين:** الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، ت (٢٥٥)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط٣، مؤسسة الخانجي، القاهرة.
٥. **تهذيب اللغة:** أبو منصور محمد بن احمد الأزهري، ت (٣٧٠)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الدار القومية للطباعة، مصر، ١٩٦٤.
٦. **جمهرة انساب العرب:** أبو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، ت (٤٥٦)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، ١٩٦٢.
٧. **الخصائص:** ابن جني أبو الفتح عثمان، ت(٣٩٢)، تحقيق محمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٥٦.
٨. **ذيل الأمالي:** القالي أبو علي إسماعيل بن القاسم، المكتب التجاري بيروت.
٩. **صحيح مسلم:** مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، ت(٢٦١)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت.
١٠. **عيون الأخبار:** ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم، ت(٢٧٦)، مصورة عن طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر.
١١. **فقه اللغة:** الثعالبي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٠٣.
١٢. **فقه اللغة:** علي عبد الواحد وافي، لجنة البيان العربي، الطبعة الخامسة، ١٩٦٢.
١٣. **الفهرست:** ابن النديم، نشره جوزتاف فليجل ليبزج، ١٨٧٢.
١٤. **القاموس المحيط:** الفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، ت(٨١٧)، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣.
١٥. **كتاب الحيوان:** الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٦. **لسان العرب:** ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم، ت (٧١١)، طبعة مصورة عن طبعة بولاق، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر.

١٧. **مجالس ثعلب:** أبو العباس احمد بن يحيى ثعلب، ت (٢٩١)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر.

١٨. **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد:** علي بن ابي بكر الهيثمي، ت (٨٠٧)، دار الريان للتراث ودار الكتاب العربي، بيروت القاهرة، ١٤٠٧ هـ.

١٩. **المزهر:** السيوطي جلال الدين، تحقيق محمد احمد جاد المولى وآخرين، مطبعة عيسى الحلبي، ١٩٥٨.

٢٠. **المستقصى في أمثال العرب:** الزمخشري أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، ت (٥٣٨)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢١. **معاني القران:** الفرّاء أبو زكريا يحيى بن زياد، ت (٢٠٧)، تحقيق محمد علي النجار وآخرين، دار الكتب المصرية، ١٩٥٥.

٢٢. **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع:** البكري عبد الله بن عبد العزيز، ت (٤٨٧)، حققه مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت.

٢٣. **نوادر اللحياني – جمع ودراسة وتحقيق** –: عبد العزيز ياسين، رسالة دكتوراه، إشراف الدكتور محيي الدين توفيق إبراهيم، جامعة الموصل، كلية الآداب، ١٩٩٠.

The conversations of the daughter of Alkhus

Prof. Mohy Al-Din Tawfiq Ibrahim
Department of Arabic Language / College of Arts

Abstract

Many ancient and modern Arab scholars spoke of citing the words of Arabs, but they more often talk about citing grammar, even though their interest in this focuses on poetry. The truth is that the first Arab scholars adopted the al-Manthur from the words of the Arabs in this regard as their adoption of poetry, and this is a book of Sibuyah whose pages are hardly devoid of quoting the words of the Arab al-Manthur, whether it is from his hearing or a narration from those he heard from among the scholars who preceded him such as Hebron, Yunus, and Abi Al-Khattab Al-Akhfash, Issa bin Omar, Abu Amr bin Al-Alaa, Abdullah bin Abi Ishaq, and others. It is well known that these scholars were going out to Al-Bawadi to listen to the words of the Arabs and write it down, and they have done this since the need to interpret the Qur'an and understand the meanings of its words, and they have been doing this for two centuries or so, and some of them spent in the desert years for years throughout the Arabs's healing and writing what Hear it from them.